الفصل الثالث: المدارس الفكرية الجيوبولتيكية

لقد كان للألمان الفضل في وضع أسس الجغرافيا السياسية في صورة الجيوبولتيكا، فكان من بين هؤلاء أبو الجغرافيا السياسية الحديثة ومؤسسها هنريك فون تريسك (1724- 1804) الذي نادى بتوسيع رقعة الدولة عن طريق الفتح العسكري، ويعتبر كارل ريتر واحدا من الذين أسهموا في تطوير هذا الموضوع: فكان يرى أن القارات أعضاء رئيسية لكائن حي عظيم ألا وهو الكرة الأرضية الحية[1].

لقد أخذت فكرة المجال الحيوي تتطور لدى الباحثين الألمان، خصوصا بعد انتصار ألمانيا على فرنسا عام 1870، وظهورها كدولة منافسة لبريطانيا في مجال الصناعة والتجارة[2].

ويعد الألماني فردريك راتزل أول من درس وعالج المكان والموقع، معالجة منسقة ووازن بها بين الدول، ثم تبعه كيلن وهاوس هوفر، ورد عليهم من المدرسة البريطانية ماكيندر وكذا ألفرد ماهان من المدرسة الأمريكية، لتأتي في آخر الاجتهادات لتطوير الفكر الجيوبولتيكي المدرسة الفرنسية، لهذا سنتطرق للمرتكزات الفكرية لهذه المدارس على النحو الآتي:

أولا: المدرسة الألمانية: (القوة البرية):

لقد أصبحت الجغرافيا السياسية من أهم الموضوعات وأكثرها شيوعا في ألمانيا بعد الحرب.ع.1، وكان الحافز الرئيس لذلك هو الحرب نفسها، فألمانيا بعدما انهزمت في الحرب، اضطرت لتوقيع معاهدة صلح (فرساي)، كانت مهينة بالنسبة إليها، فدفعت هذه الهزيمة برجال الدولة والمفكرين والقادة العسكريين الألمان، للبحث في أسباب تلك الهزيمة، بوضع آليات لاستعادة مجدهم القومي، ومنح ألمانيا تبريراً جزئيا للتوسع على حساب الدول لاحقًا في إطار فكرة "المجال الحيوي"، التي تقوم على استخدام القوة البرية بحثا عن المساحات الحيوية الشاغرة، فوضعوا قوانين جديدة أصبحت فيما بعد أسس قيام جديد أطلق عليه "الفكر الجيوبولتيكي"، هندس له في البداية راتزل ثم كيلن وهاوس هوفر مثلما نوضحه كما يلي:

[1]- أ.د عبد القادر محمد فهمي: المدخل إلى دراسة الإستراتيجية، ط1، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2006، ص ص 54-55.

[2]- المرجع نفسه، ص 55.

أ. **فردريك راتزل: (1844–1904)**: يعتبر فريدريك راتزل أول من درس أهمية العامل الجغرافي وأثره على قوة الدولة، وقد قدم أفكاره بعد إتمام الوحدة الألمانية سنة 1870، متأثرا بالظروف السياسية والتيارات الفكرية التي سادت في أوربا آنذاك[1].

أنهى راتزل دراسته الجامعية البوليتيكنيكية في كازلسروة، حيث تلقى الدروس في الجيولوجيا، الباليونتولوجيا، والزوولوجيا*، وأكمل دراسته في هايد لبرج أين تتلمذ على يد البروفسور إيرنست غيكل، الذي كان أول من استخدم مصطلح "علم البيئة". وشارك في حرب 1870 التي خاضتها فرنسا ضد بروسيا وعدد من الدول الألمانية، حفاظا على هيمنتها في منطقة أوربا، فقد تطوع راتزل في هذه الحرب أين نال وسام الصليب الحديدي على شجاعته[2].

فالجيوبولتيك كمنهج وضع من قبل فريدريك راتزل، وساعده في ذلك تكوينه متكامل، فهو جغرافي تكون في الصيدلة والعلوم الطبيعية، وكان متأثرا بأبحاث داروين (1809–1882) وأليكسوندر هومبولد Alixandare Hambolt (1769-1859)، حيث كان مهتم بالعلاقة بين الفضاء الطبيعي والمجتمعات، وطور من الأفكار حول الجغرافيا البشرية في كتاب من جزئين نشر ما بين 1882 ثم 1891، إذ يعد أول دراسة جغرافية بشرية، ثم نشر بعد ذلك ورقة بحثية في 1897 أسست لعلم الجغرافيا السياسية، إذ درس فيها تأثير المساحة في الدولة[3].

لقد تأثر راتزل بنظرية النشوة والارتقاء، وآمن بأن الدولة كائن حي ينمو على حساب الكائنات الأخرى الدول عن طريق القوة، ففي كتابه: "الجغرافية السياسية" سنة 1897، عرف راتزل الدول على أنها كائنات مرتبطة بالأرض، وقد كان مهتما بألا تأخذ مقولته المضمون اللفظي فقط "وهذا ما حدث فيما بعد".

---

[1]– أ. د عبد القادر محمد فهمي: المرجع السابق، ص 61.

* الباليونتولوجيا: علم الحفريات القديمة، الزوولوجيا: علم الحيوان.

[2]– ألكسندر دوغين:أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي. (ترجمة: عماد حاتم)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، [د.م.ن]، [د.ت.ن]، ص 71.

[3] -Stéphane Rosière, Op.cit, p .13

فالدولة مثل الكائنات الحية تمر خلال العملية التطورية، فإما أن تنمو أو تتحلل وتتلاشى، حيث لا تستطيع البقاء ساكنة لطبيعتها. كما نبه راتزل إلى الآثار الحتمية للأوضاع الجغرافية في تشكيل خصائص وسلوك المجتمعات البشرية من خلال إظهار أن السياسة تجري على مقتضى حتميات جغرافية كالموقع والمناخ والتضاريس[1].

لقد وضع راتزل ما أطلق عليه "قوانين النمو المساحي للدول"، في ورقة بحثية نشرت في 1896 أي: عام قبل نشر كتابه الشهير "الجغرافيا السياسية"، وأوضح راتزل سبعة أسس لكي تنمو الدولة بصورة سليمة وهي[2]:

1. تنمو مساحة الدولة بنمو حضارتها وثقافة سكانها: تنمو مساحة الدولة مع نمو نفوذها الحضاري من خلال انتشار ديانتها أو لغتها. فالترابط النفسي أو العقائدي بين الوحدات الجغرافية من الممكن أن يكتمل بترابط سياسي، ومن ثم فإن المناطق المتاخمة لحدود دولة يتحدث سكانها بلغتها ويعتنقون ديانتها، من السهل أن يمثلوا امتدادا جغرافيا سهلا في المستقبل للدولة الجار، وذلك إذا ما رغبت في التوسع بطرق عسكرية أو دبلوماسية.
2. نمو الدول يكون لاحقا لنمو السكان: فزيادة عدد السكان تعني زيادة الضغط على الموارد ومحاولة إيجاد مخرج عن طريق الهجرة إلى المناطق المجاورة أو السفر لرحلات تجارية، وهو ما يخلق نوعا من الألفة بين سكان الإقليمين فتزداد أواصر هذه العلاقة والتفاهم عن طريق التجارة، أو بوجود وسائل اتصال طبيعية تسهل التقارب مثل: الأنهار والبحيرات والبحار أو عدم وجود عوائق طبيعية تفصل سكان الإقليمين.
3. تتسع الدولة عن طريق ضم وحدات أصغر أو دمجها: تزداد هيمنة الدولة ذات القوة الكبيرة وتأثيرها على ما يجاورها من وحدات سياسية اصغر، ومن ثم تظهر صورة واضحة للتبعية من الوحدات الصغيرة لهذه القوة، وتظهر رغبة شديدة من سكان هذه الوحدات الصغيرة، للدخول مع الدول الكبرى المجاورة في شكل تكتلات اقتصادية أو سياسية أو عسكرية.
4. الحدود هي الإطار الخارجي للدولة وتتسع بنمو الدولة: فالدولة كلما كبر عدد السكان فيها كلما كانت لها حدود لا تتوافق مع حجمها. ومن ثم فإن الحدود أو الإطار الخارجي للدولة يتغير بتغير الحجم.

[1]- د. نعيم الظاهر، المرجع السابق، ص 35، نقلا عن: د.محمد طه بدوي: مدخل إلى العلاقات الدولية، بيروت، دار النهضة العربية، 1973، ص 84.

[2]- أ.د عبد القادر محمد فهمي، المرجع السابق، ص 63.

5. الدولة في نموها تسعى دائما لضم المناطق ذات القيمة: فهي تسعى للتوسع والنمو باحتلال المناطق ذات القيمة الاقتصادية أو الموقع الإستراتيجي كـ: السهول، الأودية، الأنهار، الممرات البحرية...الخ.
6. إن التوسع الأرضي للدولة البدائية يأتي بمثيرات من الخارج: فأفكار النمو والوحدة تنتقل من الدول الكبرى إلى الوحدات السياسية الصغيرة ذات الجذور الثورية، أو التي تبرز فيها شخصية قيادية، فتبدأ هذه الوحدة في قيادة الوحدات المجاورة وضمها وبداية التوسع وازدياد النفوذ المساحي.
7. تنتشر عدوى الضم واتساع المساحة بصورة سريعة بين الدول: فعملية التوسع مستمرة وهي تقود لتوسع آخر في إطار التصارع بين الدول لإثبات الذات، وقد عدل راتزل من هذا القانون فقال إن الأرض لا تتسع إلا لدولة كبيرة واحدة. مشيرا إلى استغلال المساحات الكبيرة ستكون أهم ظاهرة في القرن 20، على أن تتحكم الدول الكبيرة المساحة في تاريخ العالم في القرن 20، وكان يقصد روسيا في أوراسيا والو.م.إ في أمريكا الشمالية[1].

لقد انتقد فكر راتزل والجغرافية السياسية الألمانية انتقادا كبيرا، خاصة من قبل البريطانيين والأمريكيين خلال سنوات الحرب وذلك لسببين: السبب الأول لأنه ألماني، والثاني لأنه استخدم لفظ "قانون" في تفسيره لنموذج النمو المساحي للدولة. فهذه القوانين حسبهم ليست ضرورة ملزمة، كما لا يمكن مقارنة الدول بالكائنات الحية، مادام لا توجد علاقة تطابقية بينهما، بل توجد علاقة تبادلية بين الأفراد والأرض التي يحصلون منها على قوتهم.

[1]- د. نعيم الظاهر، المرجع السابق، ص 18.

ب. رودولف كيلن Rudolf Kjellen (1864-1922):

شهدت الفترة ما بعد راتزل ميلاد أحد أهم الدارسين لنظرية الدولة ككائن حي والأفكار الأخرى المرتبطة بالجغرافيا السياسية، ألا وهو العالم السويدي الجغرافي رودولف كيلن، فقد نظر للجيوبولتيك بعد انتقاده الجغرافيا السياسية في مقال نشر بمجلة ييمرYmer ، والذي خصصه للحديث عن حدود السويد، وأعاد تكرار هذا اللفظ (الجيوبولتيك) في كتابه الدولة مظهر من مظاهر الحياة سنة 1917[1].

لقد تأثر كيلن أستاذ التاريخ والنظم الحكومية في جامعة جوتنبرج بالسويد، بأفكار راتزل في موضوع المقاربة العضوية بين الدولة والكائن الحي[2]، فكيلن اتبع نهج راتزل ولم ير أن الدولة كائن حي فقط، بل يعتبرها كائن عاقل له قدرة أخلاقية وذهنية. فالدولة في توسعها وسعيها للوصول إلى السلطة لا تتبع القوانين العضوية البسيطة فقط في التمدد المساحي، بل توظف ما لديها من تقنيات حضارية للوصول إلى الأهداف المرجوة، فهو صاحب الفلسفة: "القوة أهم من القانون وأن الضرورة لا تعرف القانون"[3].

لقد اهتم كيلن مثل راتزل بدراسة العملية التي من خلالها تتحول قطعة من الأرض من منطقة جغرافية بسيطة، إلى مناطق حضارية وسياسية لكل منها غريزتها في البقاء والحفاظ على الذات ثم الانتشار والتوسع، وواصل كيلن أبحاثه وطورها فيما يعرف بنظرية الدولة، حيث قسم الدراسات المرتبطة بالدولة الى[4]:

1. الجيوبولتيك: أي دراسة البيئة الطبيعية الجغرافية وأثرها على الدولة.
2. الديموغرافيا السياسية: Demopolitik: دراسة السكان والدولة.
3. الاقتصاد السياسي: Dekopolitik: دراسة الموارد الاقتصادية للدولة.
4. علم الاجتماع السياسي: Sociopolitik: دراسة التركيب الاجتماعي للدولة.
5. الحكومة السياسية: Knatopolitik: دراسة حكومة الدولة (النظام السياسي).

[1] -Stéphane Rosière, Op.cit, P 14.

[2]- أ.د عبد القادر محمد فهمي، المرجع السابق، ص 65.

[3]- د. نعيم الظاهر، المرجع السابق، ص 18.

[4]- أ.د عبد القادر محمد فهمي، المرجع السابق، ص 65.

لقد اعتقد وتنبأ كيلن في الغالب تحت تأثير أفكار ماكيندر أن قوة الإمبراطوريات البحرية سوف تنتقل إلى الإمبراطوريات الموجودة على البر، والتي بدورها سوف تنتقل قوتها إلى البحر مرة أخرى، كما توقع ميلاد ألمانيا باعتبارها دولة عملاقة في أوربا وإفريقيا وغرب آسيا.

ج. كارل هاوس هوفر: Haus Hofer (1869-1946):

ولد كارل هاوسهوفر في ميونيخ في أسرة أستاذ جامعي، وعمل ضابطا في الجيش الألماني أزيد من عشرين عام، وبين سنتي 1908- 1910 عمل في اليابان بصفته الملحق العسكري الألماني، ونتيجة لضعف صحته تخلى عن منصبه العسكري، فعاد سنة 1911 إلى ألمانيا وحصل على درجة "الدكتوراه" من جامعة ميونيخ في دراسة له لليابان وجيوبولتيك إقليم المحيط الهادي، وكان بذلك أول كتاب يصدره "داي نيخون" حول جيوبولتيك اليابان[1].

لقد تعرف هاوسهوفر على هتلر فور الزج به في السجن إثر تمرده الذي لم ينجح، وذلك بواسطة تلميذ هاوسهوفر "رودلف هيس"، ويقال أن هاوسهوفر ساهم بأفكاره في كتاب هتلر "ماين كامبف"*، وذلك في المواضيع التي تستخدم فيها المفاهيم الجيوبولتيكية[2].

يعد هاوسهوفر من المفكرين الألمان الذين ساهموا في قيام الجيوبولتيك كمنهج، فبعد نهاية الحرب العالمية الأولى رفض نظام اتفاقية فارساي، ومن هنا أطلق مجلة الجيوبولتيك نشرت في 1923، أين فرق بين الجغرافيا السياسية التي كانت حسبه وراء انهزام ألمانيا خاصة مع أفكار راتزل في بداية مشواره. حيث درس توزيع السلطة الحكومية على مساحات القارات والشروط (الأرض، المناخ، الموارد) التي من خلالها يتم ممارسة هذه السلطة من جهة، والجيوبولتيكا الذي يقدم لأجل نشاط سياسي في مجال طبيعي من جهة أخرى[3].

لقد كان هاوسهوفر يعتقد أن الحياة للدول الكبرى أما الدول الصغرى فمصيرها الزوال، وأن العالم حسبه مصيره لثلاث حكومات، الو.م.إ في الغرب واليابان في الشرق وألمانيا في أوربا وإفريقيا، فكان يجمع الدراسات الجغرافية ويقدم تفسيراتها لهتلر.

---

[1]- ألكسندر دوغين، المرجع السابق، ص 111.

*"ماين كامبف" عبارة ألمانية تعني "كفاحي".

[2]- ألكسندر دوغين، المرجع السابق، ص 112.

[3] -Stéphane Rosière, Op.cit, P 14.

لم يبتعد هاوسهوفر عن أفكار راتزل وكيلن، فالدولة حسبه كالكائن الحي وفي مقدمة الوظائف البيولوجية لهذا الأخير هي وظيفة النمو، فالدولة بهذه الخاصية الوظيفية تنمو وتتوسع نحو مناطق جديدة غنية بمواردها الطبيعية وثرواتها المعدنية، والتي يمكن تسخيرها في الأخير لبناء وزيادة قوة الدولة[1].

إن هاوس هوفر مثله مثل راتزل كان وطني، موافق على فكرة جمع الألمان في حكومة واحدة لتعظيم قدرات ألمانيا، وذلك بوجوب تحالف ألمانيا مع الإتحاد السوفياتي، اليابان، الصين، والهند لإضعاف القوة البحرية البريطانية[2].

لقد كان هاوس هوفر من الألمان المعارضين غزو هتلر للإتحاد السوفياتي، باعتبارها دول آنذاك تمثل سدس مساحة العالم، وبالتالي مع مرور الزمن سوف تقدم المساحة مقابل ربح الوقت أي أنها تدافع بعمق، ناهيك عن فشل الغزو الفرنسي لروسيا تحت قيادة نابليون، وهو ما أخذه هاوسهوفر بعين الاعتبار فرفض غزو روسيا عام 1941[3].

إن مناقشة النظرية العضوية التي قامت عليها أفكار الجيوبولتيكيين الألمان قبل و بعد الحرب العالمية الثانية، تدعمت بنقد المفهوم الضمني لنظرية الدولة ككائن حي، فتم إقرار مبدأ أن الدولة ليست كائنا واعيا ذو سلوك هادف، فكتب باوندز Pounds في ذات الموضوع يقول: « إن الدولة بذاتها لا يمكن أن تكون لها سياسة إلا بتطبيقها بواسطة صانعي القرارات، ولا تستطيع الدولة أن تنمو أو تموت أو تولد أو تتدهور إلا من خلال القرارات التي يمليها صناع القرار فيها».

وإذا كانت الدولة ليست كائنا يتشابه مع الكائنات الحية العضوية، فإنها على ذلك ليست مؤهلة للمنافسة على المساحة أو الموارد، وهي الصفة أو ميزة الكائنات الحية الطبيعية.

فالمدرسة الألمانية بررت توسعات هتلر وتعظيم قدرات ألمانيا العسكرية البرية، على أساس فكرة النمو الواجب للدول كما للكائن الحي، وأن المجال الحيوي هو حتمية التوسع، ولو كان ذلك بالقوة وضد الدول الأخرى.

---

[1]- أ.د عبد القادر محمد فهمي، المرجع السابق، ص 65.

[2] -Stéphane Rosière, Op.cit, P 14.

[3]- أ.د عبد القادر محمد فهمي، المرجع السابق، ص 71.

ثانيا: المدرسة الأنغلوساكسونية: (القوة البحرية):

قد نخطئ إذا قلنا أن تشكيل الجيوبولتيك كمنهج هو مبادرة ألمانية خالصة، فبين الحربين العالميتين نشأت مدرسة كبيرة أنغلو-ساكسونية للجيوبولتيك، وازدهرت بعد الحرب العالمية الثانية أين عرفت تحول إيديولوجي أمريكي بإسهامات ألفريد ماهان، وكذا البريطاني هالفورد ماكيندر Mac kinder، تحت تأثير الإستراتيجية العسكرية والتاريخ والعلاقات الدولية، وبحث رسم أكبر النظريات العالمية المطورة في الفترات الطويلة.

1. **ألفريد ماهان Alfred Mahan (1840-1914)**: هو أميرال أمريكي طور من مفاهيم القوة البحرية التي تعتبر حسبه منذ العصور القديمة كقوى قارية، وقد أثر عمله في قراءات ونظرة الباحثين من العالم الأمريكي والبريطاني في القرن 20 لاسيما البريطاني هالفورد ماكيندر[1].

تلقى ماهان تكوينه في الأكاديمية البحرية الأمريكية التي تخرج منها في 1859، ليصبح بعد ذلك ضابطا في البحرية الأمريكية كأميرال، ثم محاضرا في كلية الحرب البحرية في مدينة نيوبورت في رودايلندا الأمريكية، فرئيسا لها مواصلا تطوير الفكر الجيوبولتيكي القائم على الاهتمام بالقوة البحرية، حيث له ثلاث كتب هي[2]:

* تأثير القوة البحرية في التاريخ بين 1660-1783 والمنشورة عام 1890.
* تأثير القوة البحرية في الثورة والإمبراطورية الفرنسية 1793-1820 والمنشورة عام 1892.
* القوة البحرية في علاقتها مع الحرب عام 1812.

انطلق ماهان في بناء نظريته حول القوة البحرية من دراسته بريطانيا، التي وجد فيها النقيض التاريخي لإمبراطوريات قامت على أساس القوة البرية، حيث اعتمدت جيوشها في حركتها على طرق اليابسة فامتلكت مساحات واسعة. لكن بريطانيا كقوة عظمى في التاريخ الحديث بنت قوتها في البحر معتمدة على الأساطيل البحرية القوية، بما لم يمكن أية قوة أوربية أخرى منافستها في سيادة البحر، كما أن إنفرادها في البحر أبعدها عن الانقسامات السياسية التي حدثت آنذاك بين القوى الأساسية في أوربا، ثم إن بريطانيا اعتمدت حسبه إستراتيجية

[1] -Stéphane Rosière, Op.cit, P 15.

[2]- د. نعيم الظاهر، المرجع السابق، ص 25.

تركيز القوة (Concentration of power)، بحشد أكبر قدر ممكن من السفن والأساطيل الحربية التي تزيدها فرص النجاح، في أية منازلة بحرية مع العدو ومواجهة حرب العصابات أو عمليات غزو تجارية[1].

ويرى ماهان أن القوة العسكرية الحقيقية هي القوة البحرية التي يمكن نقلها بالبحر إلى المكان المطلوب، في هذا المقام يرى أن الثورة الصناعية التي شهدتها أوربا بين 1760-1830، دفعت الدول الأوربية إلى الاستعمار السياسي وتكوين مستعمرات لها فيما وراء البحار لتصريف الفائض من منتوجاتها والحصول على المواد الخامة المتنوعة لمصانعها، وهذه الحركة أدت لإنشاء الأساطيل التجارية الضخمة لنقل السلع والركاب بين الشرق والغرب[2].

لقد أراد من تطور الملاحة البحرية إحلال الحديد محل الخشب في صناعة السفن التي أصبحت تشتغل بالبخار بدل من الشراع، وهو ما دفع الدول الأوربية لإنشاء الأساطيل البحرية العسكرية لحراسة السفن التجارية من القراصنة والعدوان أي: أن البحار والمحيطات أصبحت كشرايين ضرورية تصل بين المستعمرات والدول الأوربية المستعمرة لها، من خلال السيطرة على بعض المواقع الإستراتيجية على طول الطرق البحرية لحراسة هذه المستعمرات.

إن قيام قوة بحرية في أية دولة يتطلب حسب ماهان ما يلي[3]:

أ. الموقع الجغرافي للدولة: ويقصد به الموقع البحري فيما إذا كانت تقع على بحر واحد أو على بحرين أو أكثر، مع أخذ بعين الاعتبار صلاحية هذه البحار الملاحية وسهولة اتصالها ببعضها وبأعلى المحيطات. والنشاط البحري العسكري لأي قطر بحري يرتبط بنوع البحر الذي يطل عليه، فيما إذا كان مفتوحا أو مغلقا فالبلدان الواقعة على سواحل البحر البلطي تتأثر من الناحيتين التجارية والعسكرية إذا ما سيطرت دولة أجنبية على مداخل البحر.

وما يدل على ذلك سيطرة القوات النازية الألمانية على بحر الشمال، مما أدى إلى فرض نفوذها على البحر البلطي وضياع سيادة بلدان هذا البحر، لذا أصبح موقع السويد والدانمارك يعد من أفضل المواقع.

[1]- أ.د عبد القادر محمد فهمي، المرجع السابق، ص 75-76.
[2]- د. نعيم الظاهر، المرجع السابق، ص 24-25.
[3]- د. نعيم الظاهر، المرجع السابق، ص 26.

ب. طبيعة سواحل الدولة: بالنظر إلى طولها ونوعيتها الملائمة لإنشاء الموانئ، فكلما كانت السواحل متعرجة تكثر فيها الخلجان العميقة، أصبحت جاذبة لسكان ظهيرتها ومشجعة لهم لركوب البحر والاتصال ببقية أنحاء العالم. فسواحل الإتحاد السوفياتي سابقا كانت طويلة ولكن معظمها غير صالح للنشاط البحري بسبب رمال البحر، كما هو الأمر بالنسبة للقطر الليبي، فله ساحل بحري طويل لكنه رملي لا يشجع السكان على القيام بنشاط بحري.

ج. صفات ظهيرة الساحل: هي تلك الأراضي التي تقع خلف خط الساحل للدولة، فيما إذا كانت واسعة وتتمتع بثروات طبيعية وفيرة تكفي لسد حاجات سكان الوحدة السياسية، فهي تصبح عامل جذب للسكان نحو الداخل بدل من التوجه جغرافيا نحو البحر، ومثال ذلك: فرنسا التي تطل على ثلاثة بحار (المتوسط، الأطلسي، وبحر الشمال) ولكنها ليست بحرية، لأن خيراتها كثيرة جلبت السكان للانشغال في البر كسبا للعيش بدل البحر، عكس إيطاليا واليونان التي تفتقر ظهيرتهما للموارد، فيذهب سكانهما للبحر بحثا عن العيش.

د. مساحة الدولة وعدد سكانها: فماهان يرى أن المساحة الواسعة للدولة التي تطل على أكثر من بحر واحد، مع سواحل طويلة وصالحة للملاحة زائد ثروات طبيعية وكثافة سكانية كقوة بشرية تساعد على بناء الأساطيل البحرية وصيانتها، هي محفزات رئيسية لبناء القوة البحرية.

هـ. الخصائص القومية لسكان الدولة: فبناء أية قوة بحرية يتوقف على رغبة السكان وميلهم لركوب البحر، وهذا شرط لقيام صرح تجارة بحرية تكفل تجميع الثروات الضرورية لبناء القوة البحرية.

و. توجه السلطة الحاكمة: أي: رغبة السلطة الحاكمة في التوجه نحو البحر لخلق قوة بحرية، وهذا من خلال توفير كافة الظروف الطبيعية إلى جانب الخصائص الاجتماعية التي يتميز بها سكان تلك الدولة.

في الحقيقة بنا ماهان نظريته انطلاقا من الخصائص الجغرافية للو.م.إ، حيث جاءت مطابقة للمعايير التي وضعها أساسا لبناء القوة البحرية، فأراد خدمة المصالح الأمريكية بدعوتها للتوسع عن طريق نشر قواعد عسكرية بعيدا عن الحدود الوطنية للدولة، مشترطا بناء عدة أساطيل كبيرة بحرية يمكنها الدفاع القومي ضد أي خطر يوجه للقوة البحرية للو.م.إ.

فكان يرى ضرورة احتلال الو.م.إ لجزر هاواي لأنها قاعدة عسكرية أمامية يمكنها أن تستخدم لصد أي هجوم يأتي من القارة الآسيوية، فقامت بضمها عام 1898 بقرار من الكونغرس، وبالتالي ضمنت مفتاح الدفاع عن القطاع الشرقي للمحيط الهادي، كما دعا إلى ضرورة فتح قناة بين الأمريكيتين تصل المحيط الهادي بالأطلسي، وذلك يتم بالهيمنة على البحر الكاريبي في القسم الشرقي من المحيط الهادي، وقد تحقق فعلا ما دعا إليه ماهان من قبل الرئيس "روزفلت" بالسيطرة على قناة بناما[1].

ومن مظاهر التوسع الإقليمي ضمن أفكار ماهان؛ استولاء الو.م.إ على جزيرة بورتريكو عام 1898 إثر حربها مع اسبانيا، وإيجار منطقة جوانتنامو جنوب شرق كوبا عام 1903 –لمدة 90 سنة–، وفي 1917 اشترت من الدانمارك جزر فيرجن، واستولت على جزيرة نافاسا إلى الجنوب من كوبا، كما استأجرت من جمهورية نيكاراكوا جزيرتي كورون الكبرى والصغرى. فجميع هذه المواقع كان الهدف منها حماية موقع قناة بناما، كما استولت في نطاق المحيط الهادي على ميدواي Midway عام 1851، واشترت آلاسكا من روسيا في 1867[2].

لقد انتقدت نظرية ماهان التي تقوم بنشر القواعد العسكرية خارج الحدود الإقليمية للو.م.إ، فنجد أوان لاتيمور Owen Lattimore في مقال له بعنوان: "the Inland crossroads of Asia"، أي: داخل مفترقات الطرق في آسيا يقول: كلما بعدت القواعد الوطنية عن الوطن، كلما أصبحت خطرا كحاجز يحول دون نمو هيبة الو.م.إ إذ أن التطورات الحديثة في أسلحة الحرب قد تضعف فائدة القواعد البعيدة.

فمثلا ينتقد القواعد العسكرية الأمريكية على مقربة من ساحل آسيا للتحكم بالمصير الحقيقي للصين وروسيا عبر المحيط الهادي، لكن ذلك ليس له واقعية جغرافية، فالتطورات السياسية والعسكرية التي حدثت في السنوات الأخيرة أثبتت أن مصير القوتين السابقتين سوف يتطور في وسط آسيا ومن هناك سوف تنتشر نحو ساحل المحيط الهادي، مع إمكانية الذهاب والخروج شمالا[3].

كما يشير Weigert في كتاب "الجغرافيا السياسية" عن أثر الموقع على الإستراتيجية وسياسة القوة، مقارنا بين القواعد العسكرية الموجودة داخل الحدود الوطنية وخارجها، فيقول أن القواعد العسكرية الأمريكية

[1]– د. نعيم الظاهر، المرجع السابق، ص 29.
[2]– المرجع نفسه، ص 29.
[3]– د. عبد المنعم عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 196-197.

والروسية في القطب الشمالي تتميز بالأفضلية، عكس الو.م.إ التي تعمل على تنسيق نظام قواعدها في آلاسكا مع قواعدها في شمال كندا وجريلاند، وهي مناطق لا تخضع لسيادتها[1].

كما أن القواعد المقامة في بلاد أجنبية عرضة للإخلاء من قبل الدول التي توجد في أراضيها، لأنها تتنافى وسيادتها أو أنها تخشى تهديدا من قبل دولة كبرى أخرى، كما هو حال القواعد الأمريكية في غريلاند التابعة للدانمارك أو قاعدتها في إيسلندا، فإن إنشاء قواعد روسية في جزر Spitsbergen (أنظر الخارطة رقم 05)، يمكن أن يشكل خطرا على الأخيرة، كما أن سيادة الأسطول السوفيتي في البحر البلطي له أثره من هذه الناحية على موقف الدانمارك إذا تأزم الوضع[2].

خارطة رقم 05 تبين جزيرة بيتسبرغن التابعة للنرويج بقرب جزيرة غريلاند الأمريكية

SOURCE : https://en.wikipedia.org/wiki/Spitsbergen#/media/File:Spitsbergen.png , 25/12/2015, 19H50.

[1]- د. عبد المنعم عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 197.

[2]- المرجع نفسه، ص 197.